المشرق

وردة نفيسة في حديقة الكنيسة

او

ترجمة القديسة تريزيا الطفل يسوع

لحضرة الاب كلود شفراي اليسوعي

في ١٧ ايار الماضي يوم الاحد السابق لصعود الرب أقيمت في رومية احتفالات باهرة بنسبة تثبيت قداسة الطوبوية ترازيا الطفل يسوع الكرمليّة . فجرت هناك مراسم دينيّة لا شبيه لها في كافّة انحاء المعمور حضرها عشرات الالوف من الزوّار القادمين لاكرام راهبة كمليّة قضت حياةً قصيرة في احد اديار فرنسة فكاد العالم يجهلها لولا انتشار عبير فضائلها ومئات العجائب التي جرت بشفاعتها في العالمَين

فرغب الينا كثيرون ان نروي لهم بوجز الكلام خلاصة حياتها ثمّ دعوتها الخاصّة التي امتازت بها

القسم الاوّل : خلاصة حياة القديسة ترازيا الطفل يسوع

١ مولد ترازيا واوائل حياتها

في ١٨ تموز من السنة ١٨٥٨ اقترن بروابط سرّ الزواج المقدّس احد افاضل الضبّاط الفرنسويين لويس مرتين والآنسة زيلي غيرين . وذلك في مدينة ألنسون من مدن مملكة نورمندية . وكان الزوجان عريقين في الدين والتقى راغبَين في تقديس حياتهما ونفوس اولادهما . وكانت صلاة الامّ التقيّة : « يا ربّ هَبْ لنا نَسْلًا عديدًا وليكونوا كلّهم مخصّصين لخدمتك » . وقد سمع الله صلاتها فرزقها تسعة بنين مات اربعة منهم صغارًا فكانت أُمهم تقول : « لا خوف لي على هؤلاء فاني استودعتُهم الله » . فبقي لها خمس بنات وكلهنّ زهدنَ في العالم بالترهب فدخلت اربع منهن في دير الكرمليّات والخامسة في دير الزيارة

ففي ثاني يوم من كانون الثاني سنة ١٨٧٣ ابصرت النور الفتاة الاخيرة التي اصطفاها الله ليزين بها زمناً قليلًا حديقة كنيسته قبل ان ينقلها الى رياض سمائه فيجعلها في مصافّ اعزّ اوليائه

بعد مولدها بيومين في ٤ ك ٢ اصطبغت الوردة الجديدة بمياه العماد فدُعيت « ماري فرنسواز ترازيا » ثلثة اسماء شرّفتها بممارسة ثلث فضائل اصحابها : الطهارة وتضحية النفس وحبّ الله . وقد غلب عليها الحبّ كما صرّحت بذلك فقالت : انّ الرب قد احاطني في كلّ حياتي بالمحبة فقد احدقتْ بي المحبة منذ نعومة اظفاري بما وجدتُ حول مهدي من شواعر الحبّ . ولكنهُ تعالى اودع ايضاً في قلبي الصغير نعمة المحبة والحنانَ فكنتُ متأثرة بارقّ العواطف نحو والديّ فأتمنّى لهما كل خير . ومن فرط محبتي لوالدتي كنتُ اقول لها ببساطة الاطفال : « يا أُمية اني راغبة الى وفاتك » . فكانت امي تزجرني فكنت أُردف بحبية : الم تقولي لنا اننا ندخل السماء بعد موتنا فاني ارغب لك ان تموتي لتسعَي بالسماء »

فكأنّ الله انطق ترزيا بقرب وفاة والدتها فانها توفيت في ٢٨ آب سنة ١٨٧٧ وهي في السابعة والاربعين من عمرها وترزيا لم تبلغ ربيعها الخامس على انّ الابنة

كانت مذ ذاك الحين موسومةً بسمة أمها الفضلى. قالت: «منذ السنة الثالثة من عمري لم ارفض على الله شيئاً مما كان يطلبهُ مني. فكنت اذا سمعت احداً يقول لي: انَّ هذا الشيء يكدّر خاطر الله أمتنع حالاً عن فعلهِ»

٢ تريزيا في مدينة ليزيو

انتقل المسيو مرتين في تشرين الاوَّل ١٨٧٧ بعد وفاة امرأته الى جوار اخيها المسيو غيرين في مدينة ليزيو. فهناك قضت بناتُهُ عدَّة سنين بهناء العيشة العائلية واعمال التقى. فكانت اكبرهن ماري تُعنى بتدبير البيت بهمَّة ونشاط وتركت لاختها الثانية پولين العناية بالطفلة الصغيرة تريزيا فقامت لديها مقام الامّ الرؤوف تهتمّ بتهذيبها وتعليمها ومشاركتها بكل الاعمال الفاضلة التقويَّة. وكان الجميع مساء قبل الرقاد يتلون سوياً صلاة النوم فكانت تريزيا تجثو راكعة قريباً من والدها. قالت: «كان يكفيني ان انظر الى والدي لأدرك كيف يصلّي القدّيسون». ثم كانت اختها پولين تأخذ تريزيا الى فراشها فتسألها تريزيا قبل وداعها: أقضيتُ هذا النهار عاقلةً دون ذنب؟ أكان [illegible] فتنام نوم الابرار النائمين يرفرف حول سريرها ملائكة الله

على انَّ تريزيا ما بلغت الثامنة من عمرها حتى أصيبت بمحنةٍ كادت تقضي على حياتها. فانَّ اختها پولين احبَّت الاعتزال عن الدنيا فدخلت في دير الكرمليَّات في ليزيو في ٩ تشرين الاوَّل ١٨٨٢ فتيتَّمت تريزيا ثانيةً واستولى عليها حزن شديد انتهكت بسببهِ قواها حتى أيس والدها من شفائها لكنَّ اختها البكر ماري جثت بكل الثقة امام تمثال العذراء وطلبت اليها بإلحاح ان تشفي شقيقتها. قالت تريزيا: «فرأيت حينئذٍ وجه البتول يتلألأ نوراً ويسبي القلب بهاء واذا بوالدة الله تقرَّبت من فراشي وتبسَّمت لي فكان ابتسامها دواء ناجعاً اعاد لي تمام صحَّتي»

وفي ٨ آذار سنة ١٨٨٤ تقرَّبت لاوَّل مرَّة من سرّ القربان الاقدس وبهِ أضحت حياتها حياة ملاك متقمص جسماً بشريًّا. وكانت اذ ذاك في جملة البنات الداخليَّات في مدرسة الراهبات البندكتيَّات اللواتي كنَّ يشكرنَ الله لحصولهنَّ على مثل هذه الفتاة العجيبة. واذ سألتها واحدة من معلماتها في احد أيام العطلة: كيف تقضي تلك

الفرصة اجابتها تريزيا: اني اتأمل ؟ — وباي شيء تتأملين ؟ — اتأمل بجودة الله وبقصر هذه الحياة الزائلة وما يتبعها من الابدية

تلك كانت افكار تريزيا فزادت في قلبها تأصلاً لما رأت اختها الكبيرة ماري هي ايضاً تقرئ الوداع العالم مقتدية باختها پولين فترهبت في ديرها في شهر تشرين ١٨٨٦. وكانت تريزيا منذ صغر سنها تتوق الى الترهب فطلبت اذ بانت التاسعة من عمرها من رئيسة الكرمل ان تنظمها بين الطالبات لرغبتها بان تساكن اختها ماري. غير انّ اختها الثالثة سيلين كانت هي ايضاً تستكره العالم وتريد ان تتبع اختيها فكان لها الحق ان تسبق اختها الصغيرة على انها فضلت تضحية رغبتها وعزمت على ان تبقى في خدمة والدها الى موته فسمحت لتريزيا ان تسبقها الى الحياة النسكية. فلما كان يوم عيد البشارة فاتحت والدها برغبتها فكان جواب والدها جواب رجل مسيحي لا يريد غير مشيئة الله فقال: «هلمي معي يا ابنتي لنسير الى الكنيسة ونخبر امام القربان الاقدس فأشكر الربّ على النعمة الجزيلة التي يسبغها على عائلتي اذ هو يختار لهُ عرائس من بناتي. فاني أُعدّ كشرف عظيم ان يطلب مني اولادي ولو عرفتُ شيئاً افضل من هذه التقدمة لأسرعتُ وقدّمتها لجلاله». فهذا الجواب عينهُ كرّرهُ لابنته الرابعة سيلين اذ عرضت عليهِ برغبتها في الزهد بالعالم بعد عدّة سنين

على انّ ترهّب تريزيا لقي عائقاً آخر ما كانت لتنتظرهُ. فانّ قوانين راهبات الكرمل لم تسمح بقبول طالبة قبل بلوغها السنة العشرين من عمرها وكان عمر تريزيا ١٥ سنة فأبت الرئيسة قبولها. فالتجأت الفتاة الى اسقف مدينة ليزيو الذي سألها: «منذ كم سنة تفكرين في دخول الرهبانية ؟ فاجابت: «قد اشتهيت ان اخصص نفسي لخدمته تعالى منذ السنة الثالثة من عمري». فأحالها الى الحبر الاعظم فذهبت الى رومية وكانت تلك السنة ١٨٨٧ سنة يوبيل لاون الثالث عشر الكهنوتي الذهبي. فلما أُذنَ لها ان تجثو امام قداسته قالت: «أيها الاب الاقدس ارجو من قداستك ان تمنحني بنسبة هذا اليوبيل الرخصة بالدخول في الكرمل على الرغم من قصر عمري». فاجاب امام الاحبار الى طلبتها. واذ عرض عليها ابوها زيارة الاراضي المقدسة قبل ترهبها اجابت: «قد سئمت نفسي من زيارات الارض فلست ارغب سوى افراح السماء. بحبس نفسي في الدير

وما لبثت أن ودّعت العالم وسأمت على كلّ ذويها وألقت النظر الاخير على بيت

والدها طالبةً منهُ بركتهُ الابوية. ففرَّت كالطائر الذي قُطعت روابطهُ الى حيث كان قلبها فقُتلت عليها ابواب دير ليزيو في ٩ نيسان ١٨٨٨

٣ تريزيا في دير الكرمل (١٨٨٨–١٨٩٧)

﴿الطالبة والمبتدئة﴾ لعلَّ القارئ يظنّ ان تريزيا بدخولها شذوذاً في دير الكرمل وهي في ربيع العمر ستُصبح عزيزة على جميع الراهبات مُلفّة من اختيها ماري وپولين مشمولةً بانظار الرئيسة. فكان الامر على خلاف ذلك امتحاناً لدعوتها لئلَّا تكون ترهّبت لغاية بشريَّة. قالت: كانت الامّ الرئيسة تعاملُني بكل شدَّة فما كنت التقي بها حتى توسعني توبيخاً. فبيتُ يوماً في احدى زوايا الدير نسيج عنكبوت فلامتني على اهمالي امام جميع الراهبات قائلةً: «قد اصبح ديرنا وسخاً منذ دخلتِ الى الاخت تريزيا كناستهُ. ولاعجب فانها طفلةٌ في الخامسة عشرة من سنها. فاذهبي ونظفي ذاك النسيج وكوني مرَّةً أخرى احرص على شغلكِ»

وكانت الوكيلة تُرسلني في كل مساء الى الجنينة لأقلع ما نبتها من الاعشاب الطالية فأتت الرئيسة تراقب عملي فصرخت: «إنَّ هذه الابنة تقضي ساعاتها في الفراغ والراحة. فاي حاجة بنا بترهّب فتاة يجب كل يوم ان يُنتزع لها في الدنيا». تلك كانت الكلمات القارصة التي كنت اسمعها وقد شكرتُ الله على تهذيبي في الرهبانيَّة بهذه الطريقة الصارمة. فاذا كان يجري لي لو كنتُ صرتُ مَلهاةً وأُعجوبةً لراهبات الدير؟ فجعل الله نصيبي منذ اوائل حياتي الرهبانيَّة صليبهُ المقدَّس فاعتنقتهُ بكلّ الرضى والحبّ»

وكانت صحَّة تريزيا نحيفةً يُستدلّ على ضعفها بشحوب لونها فكانت الراهبات يمنّين ليعافينها من تلاوة الفرض في المساء او من النهوض باكراً مع الجماعة. فما كانت الرئيسة لترضى بطلبهنَّ فتقول: «انَّ نفساً كريمة كنفس تريزيا لا يجوز معاملتها كابنةٍ صغيرة وهذه المعافيات لا تصلح لها لانَّ الله يسندها. ثمَّ ان كانت اختنا مريضةً فما عليها إلَّا ان تأتي وتعرض علي أمرها». أما تريزيا فكانت اخذت على نفسها ان تتبع القانون في كل دقائقه دون شكوى وكثيراً ما كانت تذهب الى الصلوات الصبحيَّة ورأسها يؤلمهُ الصداع الشديد فتقول: «اني سأقوم بكل واجباتي الرهبانيَّة طالما

يمكنني ان اخطو خطوةً واحدة»

«النذور» بعد سنتين مرّتا على امتحانات الابتداء دُعيت تريزيا الى ابراز النذور وذلك في يوم عيد ميلاد العذراء ٨ ايلول ١٨٩٠ . لكنَّ الشيطان اراد وقتئذٍ ان يُلقي في قلبها القلق والسجس ويسوّل لها انَّ هذه ليست دعوتها فما لها الّا ان تعود الى العالم. فاضطربت تريزيا من هذه الافكار وذهبت الى مرشدة المبتدئات تستشيرها في الامر فما كان منها الّا انها ضحكت لدى سماعها قولها وطمّنت افكارها. فكفى بهذا فعل التواضع ليكشف عن كُربتها ويخزي عدوّ نفسها فابرزت تريزيا نذورها وقلبها طافحٌ بالسرور وكانت كتبت بطاقةً وجعلتها على صدرها هذه صورتها: «يا يسوع اني أطلب اليك ان تمنحني حبًّا كاملًا لا حدَّ لهُ هَبْني ان اموت شهيدةً. هبني شهادة القلب او شهادة عذابات الجسد او بالاحرى هَبْني الشهادتين معاً»

قالت: «وبعد أيام قليلة أتت ابنة خالتي حنَّة غيرين لتزورنا في الديوان وكانت اقترنت منذ عهد قريب بالزواج مع الدكتور لانيل (Dr la Néele) فأخبرتنا بحبها لزوجها وبما كانت تحاول لتكسب رضاه. فشعرتْ قلبي يتأجج حبًّا نحو الهي فقلتُ في نفسي: هيهات ان يقال انَّ امرأة من اهل العالم تصنعُ لزوجها الارضي اكثر مما انا افعلهُ حبًّا بعريس نفسي الالهي يسوع المسيح»

فجعلت تريزيا منذ ذاك الحين الحبَّ الطاهر نصب عينيها وهي التي كتبت في احدى رسائلها: «انَّ المحبة هي دعوتي الخاصّة». والحق يقال انَّ هذه المحبة كانت كقطب حياة تريزيا. ولان المحبة لا تقوم إلّا بتضحية الذات ارادت ان تجعل حياتها كطاقةٍ من المرّ تقدّمها ليسوع المصلوب فكانت في كل حركاتها وسكناتها لا تطلب الّا التفاني والتضحية واحتمال الالم والاوجاع. فكانت تفضّل معاشرة الراهبات اللواتي لا يميل طبعها الى اخلاقهنَّ بل أبَت ان تطلب لها انشراحاً بصحبة شقيقتيها الراهبتين لكي تصاب مع يسوع كل اشواقها الطبيعيَّة وامياها الجسديَّة

ثماني سنوات صرفتها تريزيا الطفل يسوع تتأنّق في ابراز حبها لعروس نفسها بأصناف التقادم والضحايا بكسر الارادة والطاعة في ادنى الامور وبممارسة التقشفات المتنوّعة واحتمال الفقر المُدقع والصبر الجميل على ضروب الآلام الداخليَّة والمحن

الخارجيَّة كصبرها على وفاة والدها الذي منحهُ الله ميتةً صالحة جزاء على تقدمته خمس بناتهِ لخدمة الله. وكانت تريزيا في كل ذلك لا تطلب إلَّا ان تكون محرقةً كاملة يتصاعد قتارُها الى عرشهِ تعالى فيتنسَّمها برائحة مَرْضيَّة

ولم يشأ عروسُ نفسها ان يُغلَب بالحبِّ نحو تلك النفس الكريمة فغمرها بضروب نعمهِ الفائضة فسكب في قلبها ينابيع مواهبهِ وأضرمها بسعير حبهِ فكان صدرُها كأتون النار المتَّقدة لا تجد راحةً الَّا في محبَّة الخالق حتى كاد ينشقّ قلبها لاضرامهِ. فكان بينها وبين يسوع محبوبها كسيول متماوجة تجري من نفسها اليهِ وتعود منهُ الى نفسها فتزداد سعيرًا واضطراماً. وكان حبُّها لخالقها يحملها على ان تنشر محبَّتهُ في كل الانحاء. وتربح لهُ نفوس كل الخلائق. وكان لمزيد حب يسوع لخادمتهِ انهُ لم يرفض عليها شيئاً مما تطلبهُ لمجد الله ولخير القريب وخصوصاً للراهبات المبتدئات التي تعيَّنت هي كمساعدة لمرشدتهنَّ فكانت لهنَّ نعم القائدة وخير قدوة. ولو شئنا ان نعدّد هنا تلك الهبات الجليلة والمنح الخارقة العادة لعجزت الالسن عن وصفها

﴿مرضها ووفاتها﴾ حسدت السماء ارضنا على هذه الدرَّة اليتيمة فاسرع الله الاستئثار بها ليضمها الى الاسفار السرمديَّة

كانت تريزيا منذ السنة ١٨٩٥ اعلنت لرئيستها: «اني سأموت عما قريب ولستُ اقول بعد اشهر لكن بعد سنتين او ثلث سنين على الاكثر فهذا ما اعلمهُ بما اشعر في نفسي». وأمَّا كان يوم خميس الاسرار في ٢ نيسان من السنة ١٨٩٦ عادت الى قلَّايتها نحو نصف الليل قالت: «ما كدتُ اسند رأسي الى المتدغة حتى شعرتُ بشبه موجةٍ صعدت من صدري الى شفاهي فظننتُ اني سأفارق الحياة فطارت نفسي فرحاً لهذا الفكر ثمَّ بقيتُ راقدةً بهدوء الى الساعة الخامسة وأنا دقّ جرس النهوض قمتُ وكاني انتظر بُشرى بفرح عظيم وتقرَّبت الى نافذة قلَّايتي واذا بمنديلي ينطف دماً فتحقَّقت انَّ حبيب نفسي يُشعرني بقدومهِ القريب ليفكَّ اغلالي»

فبقيَت نحو سنةٍ ونصف تنتظر مع سراجها الموقد محيَّ العروس. على انَّ المرض كان اضعف قوَّةً فيها من نار المحبة التي كانت تؤجّجها لآخرتها. وفي حزيران من السنة ١٨٩٧ نُقلت الى غرفة المريضات فقالت عند وداعها لقلَّايتها: اني قد تألمت فيها كثيراً وكنتُ وددتُ لو اسلمتُ فيها روحي

وكانت المبتدئات يأتين ليُعدْنها فيقلن لها: اننا نتأسف لرؤيتك في هذه الاوجاع المؤلمة . فقالت لهنَّ: انَّ الذي يسير في طريق المحبة لا يكدّره شيء . ولو لم اشعر في كل دقيقة ببعض الآلام لكنتُ افقد نعمة الصبر ومن ثمَّ اني لا افكر الَّا بالدقيقة الحاضرة فانها دقيقة النعمة ولذلك يجب الصلاة لاجل المنازعين لان على تلك الدقائق تتوقف ابديّتهم»

وسألتها المبتدئات كيف كانت تُدرك اخفى افكارهنَّ . فاجابت: «قد نلتُ هذه النعمة من العذراء الطاهرة فاني ما كنتُ ألقي عليكنَّ امرًا الَّا بعد الصلاة اليها . . آه كم يحبُّها قلبي فلو كنتُ كاهنًا لكنتُ نطقتُ بمحامدها وربحتُ لها كل القلوب فانَّ مريم امٌّ حبيبة اكثر منها سلطانة جليلة»

وفي ٣٠ تموز مُسحت المسحة الاخيرة . ولما حصل لها من التقيُّؤ لم يمكنها ان تتناول القربان الاقدس لكنها كانت عائشة في مناجاة الله وحبهِ الدائم الى آخر انفاسها . واذ سألها مرشدها: أهي تسلّم ارادتها للربّ في حلول موتها؟ فاجابت: «يصعب عليَّ تسليم ارادتي في اطالة حياتي لا في قرب وفاتي»

وفي مساء النهار السابق لوفاتها جثت يمامةٌ على طرف نافذة غرفتها فاخذت تسجع وتطرّب بغنائها كأنَّها تحيّي الراهبة المنتقلة الى جوار عروسها . ولمَّا اشرق صباح اليوم الثلثين من شهر ايلول ١٨٩٧ اسلمت تريزيا البارّة روحها بين يدي خالقها . وكان آخر كلمة نطقت بها: الهي اني احبُّك! كم تتوق نفسي اليك! ماتت وهي في عزّ شبابها لم يتجاوز سنها اربعة وعشرين عامًا

وفي ٤ تشرين الاوّل نُقل التابوت الحاوي لجسمها الطاهر الى مقبرة ليزيو يتقدّمهُ موكب جليل من الكهنة الذين اتوا ليشكروها على الصلوات الحارّة التي قدّمتها لله لتقديس نفوسهم

٤ تريزيا الطفل يسوع بعد موتها

انَّ بين قوانين الكنيسة ان تثبيت القديسين لا يكون إلَّا بعد وفاتهم بخمسين سنة ليتمَّ الفحص المدقّق عن حياتهم وسموّ فضائلهم ولئلَّا يدخل في تثبيتهم غايات بشريّة . وها قد خالفت الكنيسة لاوّل مرّة في عصرنا هذا القانون شذوذًا في تثبيت

قداسة تريزيا الطفل يسوع. وكان الذي حكم بوجوب خرق هذه العادة الطيّب الذكر البابا بندكتوس الخامس عشر لما رأى من علامات قداسة تلك الفتاة الملائكية والعدد العديد من الكرامات والعجائب التي جرت بشفاعتها في كل انحاء المعمور. وكان يريد ان يثبتها طوبويّة سنة ١٩١٧ لولا بعض شواغل تلك سنة الحرب. وكان احد فاحصي اعمال خادمة الله نيافة الكردينال ڤيكو يقول: يحسن بالكرسي الرسولي الإعلان بجواز اكرام تريزيا الطفل يسوع لئلّا يسبق صوتُ الشعب والرأيُ العامّ حكمَ الكنيسة

ما كاد قداسة البابا بيوس الحادي عشر يجلس على كرسي الخلافة البطرسيّة حتى فكّر في نظم الراهبة الجليلة في سلك اولياء الله فأعلن اوّلاً بتطويبها في ٢٩ نيسان ١٩٢٣ ثمّ عاد بعد سنتين وتأثّر من المعجزات التي كانت تنشر اخبارها الجرائد والمجلّات والشهود الموثوق بهم فأدرجها في سجلّ القديسين في ١٧ أيار من هذه السنة الحاليّة ١٩٢٥ وسمح ان يُقام لها عيد في كلّ كنائس المعمور

القسم الثاني: في دعوة القديسة تريزيا

يقول الكتاب (مز ٦٧: ٣٦) انّ الله عجيبٌ في قدّيسيه فانهُ اذا رقّاهم الى اوج القداسة واجابوا بامانة الى صوتهِ يعهد اليهم بدعوةٍ خصوصيّة يقومون بها في عالم الكنيسة. فيدعو الواحدَ لنشر الايمان بين المشركين كالقديس بولس الرسول. وينتدب الآخرَ لخلاص امّة كاثوليكية كما انتدب القديسة جان درك لانقاذ فرنسة. ويختار غيرهم لنشر بعض العبادات كالقديس دومنيك لنشر عبادة الورديّة وكالقديسة مرغريتا مريم لنشر عبادة قلب يسوع. وهذه تريزيا الطفل يسوع قد اصطفاها لنشر محبة الله

لمّا احسّت القديسة تريزيا بقرب وفاتها اخذت تقول: «قد قَرُب زمن دعوتي. وما ادراكم ما دعوتي؟ دعوتي ان أُحبّب الله في قلوب البشر وأُرشد النفوس الى الطريق التي سلكتُها. اني اريد ان اقضي حياتي في السماء لاعمل الخير على الارض. ولا غرو فانّ ملائكة الله قائمون في حراستنا. ومن ثمّ ساسعى جهدي الى آخر العالم في نشر محبة الله حتى اسمع الملائكة يقولون: ها قد انتهى الزمان فحينئذٍ يتمّ فرحي

بتمام عدد المختارين» . فسألتها اختها پولين (المدعوة بالام اغنيس دي يسوع) : وما هي الطريق التي تشيرين اليها ؟ قالت : هي طريق الثقة بالله والتسليم التام لمشيئته تعالى . اريد ان ادلّ البشر الى الوسائط التي نمت بها فاقول لهم : وجهوا الى يسوع زهور ضحاياكم الزهيدة وتودّدوا اليه بها فذاك سرّ حياتي وسرّ نجاحي ولهذا اعلم انهُ سيُحسن استقبالي » (١

ثم اردفت قائلةً لمبتدئياتها : « ان كنتُ اسأتُ في حكمي السابق عن الطريق المذكورة فاني سأعود اليكنّ سريعاً وابيّن لكنّ الطريق المستقيم وإلّا فتأكدنّ انّ ما قلتهُ لكنّ هو الحقّ . . .

« وليس في الطريق التي نهجتُها شيء عسير . فما صنعتهُ انا تُحسن النفوس الصغيرة صنعهُ مثلي »

ولو أردنا ان نختصر حياة تريزيا الطفل يسوع لقلنا انها بلغت قمّة القداسة بروح تواضعها وروح اتكالها على الله وروح تضحيتها لنفسها

﴿روح تواضعها﴾ كانت تريزيا ترى نفسها اذلّ واصغر المخلوقات قالت : « لقد غمرني الله بنعمٍ عظيمة وانما اكبر نعمه انهُ أراني حقارتي وعجزي عن كل خير » ومن اقوالها : « لا يتوقف الاتضاع على قول الانسان اني مملوء من النقائص فان المتواضع الصادق هو الذي يفرح بان يقول الناس عنهُ ذلك ويحكمون به » . ومن اقوالها ما كانت تتمنى به : « اني أريد ان ابقى صغيرة ذليلة لأربح يا الهي محبّتك وان انسى ذاتي لأبهج قلبك »

﴿روح اتكالها﴾ قالت : « بها وثقنا بالله فانّنا نستطيع ان نزيد بجودهِ ثقةً » . وكتبت الى ماري غيرين : « انّ المرء ينال من مراحم الله تعالى على قدر رجائهِ به » وورد في بعض كتاباتها : « اني لقد عرفتُ أمهات كثيرة ورقّة قلوبهنّ فانهنّ يصفحن عن كل ما يجدنهُ من النقص في معاملة اولادهنّ . وانّ الله اقرب الى الغفران عن سيئاتنا من احنّ الأمهات » . ومن اقوالها : « لستُ لاشاء شيئاً يخالف ارادة الله حتى اني لا اريد دخول السماء بارادتي ولو دقيقةً واحدة قبل رضاهُ تعالى » . وقالت : « انّ طريقي

(١) اطلب الكتاب الذي وضع لتاريخ حياتها وفيهِ كثير من اقوالها الروحيّة التي ندوّن قليلاً منها هنا (Histoire d'une âme, Ch. XII)

طريق الحب والثقة . ولا يمكنني ان أفهم كيف يوجد نفوس تخاف من الله وهو اصدق الاصدقاء وأحبُّ الآباء وارحم الراحمين»

﴿ روح التفاني والتضحية ﴾ من اقوالها : « لا شغل لي الّا اني اقطف زهور التضحية والحبّ لاقدّمها لله نَيْلًا لرضاهُ . . فلا ادع فرصةً تفوتني لأنثر تلك الزهور عند اقدامهِ سواء كان بالقول او بالنظر او بالعمل . أريد ان أهديَهُ تلك الضحايا كعربون محبتي لا بل أريد ان تكون افراحي كما آلامي كلها موسومة بالمحبة . اني اكره ان ينتثر من زهودي وُرَيقة واحدة لا تُهدى ليسوع »

فيرى القارئ اللبيب ان خلاصة حياة تريزيا الطفل يسوع تحتويها هذه الالفاظ الثلثة : « التواضع . تسليم الذات . التضحية» اليها تعود كل افكار واقوال واعمال تريزيا . فمن اقوالها : «لا رغبة لي إلّا في المحبة . كما ان يسوع ساقتهُ محبّتهُ لنا الى نوع من الجنون . هذه هي الطريقة الانجيليّة طريقة الصغار والمتذلّلين كيف لا وهو القائل في انجيلهِ الطاهر : ان لم تعودوا وتصيروا كمثل الاطفال لن تدخلوا الى ملكوت السماوات . وقال في محلّ آخر : دعوا الاطفال يأتون اليَّ لانَّ ملكوت السماوات لمن يتشبّه بهم . فكل من يصغّر نفسهُ كمثل هذا الصغير هو الذي يكون الاكبر في ملكوت السموات . فالى هؤلاء الصغار قد أوحى باسراره»

والى هذا قد اشار بندكتوس الخامس عشر في خطابهِ عن خادمة الله تريزيا في ١٤ آب ١٩٢١ : « يريد السيد المسيح ان يجعل تلامذتهُ ذلّهم نصب عيونهم ليربوا في الصِغَر الروحي والتواضع الشرط الضروري لربح الحياة الابدية»

وكذلك الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر المالك سعيدًا قال في خطابهِ يوم تثبيت قداستها : « انَّ طريق خادمة الله تريزيا التي بلّغتها الى ذروة القداسة هي الطريق المُنهَجة للجميع طريق يستطيع سائر المؤمنين يسلكوها فيها بل هي سهلة وثيرة فان كان الكل لا يستطيعون ممارسة المشروعات العظيمة فليس احد يعجز عن الصلاة والتواضع والمحبة » هذه طريقة الصغار الذين اجزلت تريزيا عليهم نِعَم شفاعتها وان لم تبخل بها ايضاً على كل الملتجئين الى حمايتها حتى البروتستان والمسلمين

كانت تريزيا تخصُّ بذكرها الكهنة والمرسلين . ومن اقوالها قبل الوفاة : « اني سأعود بعد موتي الى الارض لاساعد الكهنة والمرسلين والكنيسة باجمعها » وبناء . .

على قولها هذا حرّض بندكتوس الخامس عشر احد الكهنة على طلب شفاعتها قائلاً له: «توسّل الى تريزيا الطفل يسوع فانّ دعوتها ان تعلّم الكهنة محبة السيد المسيح»

عجائب القديسة تريزيا

انّ دعوة تريزيا في حمل البشر على محبة الله قد أيّدتها بعجائب باهرة عديدة جعلت المؤمنين يعتبرونها كالقديسة العاملة العجائب في القرن العشرين. قال الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر متفكّهاً: «قد حان للقديس العجائبي انطونيوس البادوي ان يستريح لتنوب عنهُ تريزيا بفعل العجائب». وما لا ريب فيهِ ان ثقة المؤمنين بشفاعة هذه القديسة الجديدة كادت تطبّق وجه المعمور فان ترجمة حياتها قد نُقلت الى كل لغات اوربّة فتهافت اليها الناس لما اختبروا من حنان تلك الراهبة الكريمة وهي التي قالت: «اني بعد وفاتي سأمطر على الارض الورود بل اليدين» وقد جُمع قسمٌ من تلك المعجزات في نشرة خصوصيّة بلغت اليوم عدّة مجلّدات عنوانها «مطر الورود» يتّضح منها انّ كلامها لم يكن لغواً بل حقيقة هي تُمطر على الارض غيثاً من النعم لا يسعنا الّا ان نشير اليها اشارةً خفيفة مستندين الى ما تحقّق وقوعهُ بالشهود العيان. فما ورد في النشرة المذكورة (المجلّد ٤ عدد ١١٤) انّها ملأت ذهناً بحفظة احد المحتاجين الملتمسين شفاعتها. ومنها حراستها لطفل صغير من حريق هائل (ج ٤ ع ١٠٤). ومنها صيدٌ عجيب للسمك حصل بمعونتها في مدينة ريكاناتي (٤:٥٥٧). ومنها تخفيف عقاب احد المسجونين في الولايات المتحدة (٤:٥٥٦). ولمّا انتشبت الحرب الكونيّة الاخيرة ظهرت على رؤوس الملأ شفاعة تريزيا البتول المُحسنة فجُمعت تلك الآيات ونُشرت تحت عنوان «عجائب تريزيا الطفل يسوع في اوان الحرب». قال احد كبار الضبّاط (ص ١٢٥): «انّ ذخيرة القديسة تريزيا هي كترسي منذ ٣٢ شهراً». قال الملازم جوزف مرتين: «أُصبتُ بجرح مؤلم كان القاضي على حياتي لولا شفاعة تريزيا الطفل يسوع». قال الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر في خطابهِ: «قد وفدت علينا رسائل متعدّدة من جنود وضبّاط ينسبون الى تريزيا الطفل يسوع نجاتهم من مخالب الموت وصنوف من الاخطار». ولذلك كنتَ ترى فِرَقاً من العساكر يجعلون تريزيا الطفل يسوع كشفيعتهم الخاصّة ويكرّسون لها بطاريّاتهم وطيّاراتهم وخنادقهم

فيختبرون حمايتها ويعلنون بشكرهم لها

على انَّ هذه المعجزات لم تحصل جزافاً بل كانت آنسلةً لتمجيد الله ولاعلان قداسة خادمتهِ الامينة ولتحقيق الدعوة التي دعاها اليها بان تنشر في الارض حبَّهُ تعالى. فانَّ مطر ورودها المنهمر منذ ٢٨ سنة أصبح كما قالت منهجاً سلكهُ المتعبدون لها لينفروا عن روح العالم ويرقوا في معارج النعمة والخلاص. هذا الى ارتداد كثيرين من الوثنيين والبروتستانت الى حجر الكنيسة بعد ما نالوا نعماً خصوصيَّة من خادمة الله

عجائب القديسة تريزيا في الشرق

لم تحرم تريزيا الطفل يسوع شرقنا العزيز من مطر ورودها بل غاثت بهِ اصقاعنا ايضاً. ودونك بعض الشواهد على قولنا

أُصيبت في حلب الاخت نتالي من راهبات القديس يوسف بالم في حنجرتها انقطع بهِ صوتها تماماً ولم ينجع في شفائها دواء الحكماء. ففي ٢٠ ايار من السنة ١٩١٣ بلشرت بتساعية لاكرام تريزيا واذ لم تأتِ عيادتها بفائدة. لم تقطع رجاءها على الرغم من تهكُّم بعض معارفها بل استأنفت تساعيَّة ثانية بتزيد الحرارة ففي مساء اليوم الاوَّل منها عادت اليها صحَّتها تماماً فقرَّ الجميع بشفائها العجيب (ج ٤ ع ٥٠٨ من كتاب مطر الورود)

اخبرت الاخت فرنسواز من راهبات دير زقازيق في مصر قالت: كانت ساعتي منذ سنةٍ قد سكنت حركاتها وعجز الساعاتي عن اصلاحها فاخذت ذخيرةً من ذخائر الاخت تريزيا فجعلتها فوقها في حزيران من السنة ١٩١٣ ثم تلوتُ صلاةً لاكرامها طالباً من الله تثبيت الكنيسة لقداستها فلما قمتُ من صلاتي واخذتُ الساعة فاذا بصوت دقَّاتها يبلغ اذني وبقيتْ مذ ذاك اليوم لم تخلّ مطلقاً في سيرها كأحسن واضبط الساعات (منهُ ٤: ٥٣٨)

وهذه أعجوبة أُخرى جرت في القاهرة في مدرسة الفرير المعروفة بمدرسة القديس دي لاسال. فان احد اخوتهم المدعو لوسيان كان مشرفاً على الموت فالتجأ الى تريزيا صانعة العجائب فلم يتأخر شفاؤهُ تماماً وسلَّمهُ طبيب المدرسة الدكتور فرنيس كتاب

شهادةً بخطهِ يصرّح بان شفاءهُ لايمكن تعليلهُ بعلّة طبيعيّة وانما هو فعلٌ عجانبي محضٌ (منهُ المجلّد ٦ ع ١١١)

في شهر تموز من تلك السنة أصبحت جنينة راهبات الجلجلة البندكتيّات في القدس فريسةَ النمل فزحفت جيوشها الى الاشجار المثمرة فافسدت بعضها تماماً. فالتجأت البستانيّة الى المكرّمة تريزيا وجعلت صورتها على مشمشة حملت النمل عليها وباشرت بتساعيّة لاكرامها فتوارى النمل حالًا وسلمت الشجرة كما نجت كل الاشجار التي ذرّت عليها الراهبة قبسةً من تراب قبر تريزيا (منهُ ج ٤ ع ٥٦٣)

وكانت راهبة اخرى من ذلك الدير نالت شفاء تامًّا بشفاعة تريزيا الطفل يسوع في الشهر السابق (أيار ١٩١٣) أُصيبت الاخت تريزا بوجع برق الساق فلزمت فراشها بلا حراك فقيل لها: التجيْ الى المكرّمة تريزيا الطفل يسوع وباشري بتساعيّة لاكرامها. قالت المريضة: اني لست صابرةً تسعة أيام ولاسيما ان عيد قلب يسوع واقع بعد يومين فلا بُدَّ لي ان انزل الى الكنيسة وتضرّعت الى خادمة الله بكل ثقة فلمّا كان يوم الغد بدأوا بتساعيّة عيد قلب يسوع اتوا لها بطعامها في الفراش فصرخت قائلة: قد تمّ شفائي على يد تريزيا فها انا اقوم وانزل وحدي الى مائدة الراهبات. فقامت بتمام العافية وفي اليوم يوم عيد قلب يسوع تصدّرت جوقة المغنيات في الكنيسة ودقّت الارغن بلا عنت (منهُ ع ٦١٩)

كتب احد الآباء الكرمليين من بوشهر (العجم) في ١٤ ك ١ ١٩١٣: حُبس ظلماً احد المسيحيين من جماعتي هنا فبقي في الحبس ٢٢ يوماً وكنت لا اعلم كيف اخلّصهُ فالتجأت الى المكرّمة تريزيا واعدا بأني انشر الخبر لاكرامها فأفرج الحكّامُ عن المتّهم ثاني يوم (٤ ع ٥٧٣)

كتبت في ١٦ ك٢ ١٩٢٠ احدى راهبات الفدائيات من القاهرة كان هنا شابّ اسباني جحد النصرانيّة وأسلم فأُصيب بالتهاب السحايا ولم يبق امل لشفائهِ. فاخذت امرأةٌ من صديقات عائلتهِ ذخيرةً من ذخائر تريزيا الطفل يسوع فجعلتها تحت رأس المريض وصلّت بحرارة على نيّتهِ فنجا المريض وشفي تماماً نفساً وجسداً وطلب كاهناً اعترف لهُ بخطيئتهِ وتاب توبةً نصوحاً عن جحود ايمانهِ (ج ٦ ع ٣٢)

نالت في بيروت فتاةٌ صغيرة عمرُها تسع سنين الشفاءَ التام من الحمّى التيفوئيديّة

سنة ١٩٢٣ لما جعلتها امها تحت نظارة الطوبوية تريزيا (كما ورد في ترجمة حياتها العربية ص ٣٨)

وقد ورد في رسالة قلب يسوع (عدد اذار ١٩٢٥ ص ٩٠) انَّ سكّافاً مسلماً شفي بانتجائه الى القديسة تريزيا

ولدينا اخبار نعم عديدة غير هذه حصلت بشفاعة القديسة تريزيا في الهند والصين. وبما ذكرنا كفاية لاثبات ما قلنا انَّ القديسة تريزيا لم تحرم شرقنا العزيز من مفاعيل شفاعتها

فكم نتمنى من مراحمها ان تؤلف قلوب اهل وطننا وتبعد عنّا كلّ شقاق ليتمّ قول الربّ فعلاً «فيكون راعٍ واحد ورعيّة واحدة». ويؤيد رغبتنا ما كتبهُ في احدى جرائد لندن احد رؤساء الكنيسة الانكليزيّة البروتستانتيّة: «اني اؤمل من شفاعة تريزيا الطفل يسوع ان تتألف في انكلترة الوحدة الدينيّة»

ونختم مقالنا بذكر الصلاة التي كانت تتلوها القديسة تريزيا وتقدّم بها نفسها ذبيحةً للحبّ الرؤوف :

«إلهي الثالوث الكلي قدسهُ اني اقدّم ذاتي ذبيحةً لحبك الرؤوف لكي اعيش عيشة المحبة الكاملة واتوسّل اليك بالحاح ان تضرم فيّ لهيبك دائماً وتفيض في نفسي فيوض حنانك الذي لا حدَّ لهُ لأضحي شهيدة حبّك. فليفض هذا الاستشهاد على حياتي بعد ان يكون قد اهّلني للظهور امامك وتُحلّق نفسي عاجلاً للاتحاد بجسك الازلي الرؤوف. أريد يا حبيب نفسي كلّ مرّة يخفق فيها قلبي ان اكرّر لك تقدمتي هذه مرارًا لا يفي بها الاحصاء لاتمكّن بعد زوال أظلال هذه الحياة ان ابثّك حبي مدى الابد »